آفة العنصرية– المُسَبِّبات والحلول

دراسة تحليلية في ضوء السنة النبوية

د. سامر ناجح عبد الله سمارة
كلية القرآن والسنة– جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
samernajeh@usim.edu.my
أسامة بلال مهنا
كلية القرآن والسنة – جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
osama.mhanna25@gmail.com

ملخص البحث:

تُعدُّ ظاهرةُ العنصرية من أَعْقَد المشاكل الاجتماعية التي ما زالت تُؤَرِّق أَفكار البشرية منذ قديم الأزل وحتى يومنا هذا، وقد تركت جروحًا عميقة في تاريخ الشعوب والقوميات، وأَصبحت تُستَغَلُّ في إِثارة الحروب والنِّزاعات فيما بينها بما يُهدِّد السِّلم المجتمعي والأمن الإنساني. وقد كان مبعث النَّبي محمد صلى الله عليه وسلَّم نقطة فارقة في التاريخ البشري، حيث أَرسى قواعد التَّعايش والاندماج بين مختلف الشُّعوب والأَعراق، وكان من ذلك ما عرف بالوثيقة المدنية آنذاك.

وفي ظلِّ الصِّراع الدَّائر في العَالم عمومًا، ومنطقة الشرق الأَوسط خصوصًا، يبرز السؤال الكبير: هل ما زالت السُّنَّة النَّبوية قادرة على إِيجاد القواعد المناسبة لإِرساء السِّلم المجتمعي بين القوميَّات والأعراق المختلفة لتتعايش من جديد، وهل يمكنها أيضًا القضاء كليًّا على ظاهرة العنصرية وتجفيف منابعها؟ وما هي الوسائل والطرق التي اتبعتها السنة للتغلب على هذه الظاهرة المقيتة؟ لذلك جاء هذا البحث ليجيب على هذه الأسئلة من خلال اتباع المنهج الاستقرائي والوصفي لجمع الأَدلِّة اللازمة، وتحليلها، ومحاولة استخلاص نتائج واقعية قابلة للتطبيق، والتي منها استحالة استئصال شأفة ظاهرة العنصرية بصورة كاملة؛ بل العمل على التقليل منها لأدنى الحدود،

وذلك بتكثيف الجرعات التّربوية في المحاضن التعليمية خصوصًا للأجيال الناشئة، وسنّ القوانين التي تعاقب مثيري هذه الظاهرة، كذلك محاولة تصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة التي يستقيها البعض من النصوص الشرعية، سواء بإقامة دورات وورشات عمل، وتفعيل دور الدعاة وأساتذة المدارس والجامعات في المجتمع.

كلمات مفتاحية: عنصرية، سلم مجتمعي، شعوب وأَعراق، مواثيق، قوانين

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد

لقد من الله تبارك وتعالى على عباد بالقرآن والسنة، ليعلم العباد بأن الناس سواسية في كل شيء، وأنه لا تفاضل فيما بينهم إلا بالتقوى، وجعل ذلك مقياسًا تفاضليًا، يتفاضل به العبد عن الآخر بعيدًا عن عبية الجاهلية التي تفرق بين الأحساب والانساب وغيرها.

وعليه فقد اعتنت السنة النبوية في مكافحة العنصرية وإبطالها بأحاديث نبوية كثيرة وصحيحة، تسعى من خلالها إلى فض العنصرية بكافة أشكالها وألوانها، وإيجاد الحلول السامية التي تسعى لإقامة مجتمع إسلامي نبيل قائم على المساواة وعدم التفرقة، وعدم التفاضل بنسب أو حسب أو قبيلة، وعليه فقد أرتآى الباحثان بتقديم هذه الورقة الموسومة ب آفة العنصرية المسببات والحلول دراسة نبوية تحليل، لتلسيط الضوء على اهتمام السنة النبوية في فض العنصرية ومحاربتها، وعليه فقد تم استقراء الأحاديث النبوية التي أشارت إلى نبذ الأسباب.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة على:

1. ما هو موقف السنة النبوية من العنصرية؟
2. ما هي أسباب العنصرية في ضوء الحديث النبوي؟
3. ما هي الحلول التي تقدمها السنة النبوية في مكافحة العنصرية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذا الموضوع كونه يسلط الضوء على الواقع المرير الذي تحياه الامة الإسلامية في التفاضل بين الاحساب والانساب، وما على شاكلتها، جاءت هذه الدراسة لتقدم انموذجًا تحليليًا للباحثين في هذا الإطار، ولتقدم حلولا واقعية لمكافحة العنصرية بمختلف الطرق والأساليب النبوية.

المنهج العلمي:

سلك الباحثان كل من المنهج الاستقرائي والوصفي، والاستنباطي، أما عن المنهج الاستقرائي باستقراء الاحاديث الواردة في مكافحة العنصرية وآفاتها، وأما المنهج الوصفي في مناقشة ما ذكروه شراح الحديث حول الأحاديث وبيان معانيه، واستنباط الحلول الناجعة لسد أبواب العنصرية.

1. عزو الآيات القرآنية إلى سورها.
2. عزو الاحاديث إلى مصادرها من كتب السنة.
3. تحليل مفردات الحديث، وتوظيفها في فهم الواقع الذي يحيان الناس في حياتهم.
4. استنباط الحلول الناجعة للحد من استشراء العنصرية من مواقف نبوية ودعوية.

أما عن الخطة البحث:

قدم الباحثان تعريفًا عامًا بالعنصرية وما يقابلها من ألفاظ ذات صلة من كتب اللغة والاصطلاح.

وأما المبحث الثاني: أسباب العنصرية من منظور نبوي.

وأما المبحث الثالث: قدم فيها الباحثان جملة من الحلول للحد من استشراء العنصرية.

المبحث الأول: مفهوم العنصرية

أولا: العنصرية لغة.

العنصرية مأخوذة من العنصر، وهو في اللغة أصل الحسب[1]، قال الأصمعي: عُنصر الرجل: أصله[2]، كذلك يطلق العنصر على الجنس والسلالة [3].

ثانيا: العنصرية في الاصطلاح

[1] العين (377/2).

[2] تهذيب اللغة (213/3).

[3] معجم اللغة العربية المعاصرة (1365/2).

تعددت تعريفات العلماء لمصطلح العنصرية، ومرد ذلك إلى النقطة التي انطلقوا منها لتعريف المصطلح، فمن نظر إلى أصل والجنس عرفها بأنها: مَذهبٌ قائمٌ على التّفرقة بين البشر حسب أصولهم الجنسية ولونهم. ويرتب على هذه التفرقة حقوقاً ومزايا[4].

ومن انطلق من الجماعة أو العرق عرفها بأنها: الاعتقاد بأن هناك فروقًا وعناصر موروثة بطبائع الناس وقدراتهم وعزوها لانتمائهم لجماعة أو لعرق ما، وبالتالي تبرير معاملة الأفراد المنتمين لهذه الجماعة بشكل مختلف اجتماعياً وقانونياً[5].

أما الأمم المتحدة فعرفت مصطلح عنصرية " Racism " بأنه التمييز القائم على العرق "racial discrimination" والذي يعني: " أي نوع من أنواع التحديد، الاستبعاد، الحظر أو الإرجاع أو الاستناد المؤسس على العرق، اللون، الأصل أو القومية، أو الأصل السلالي بغرض التأثير على الاعتبارية، التمتع والممارسة على قدم المساواة لحقوق الإنسان والحريات الأساسية في المجالات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية أو أي مجالات أخرى في الحياة العامة "[6].

ومن خلال مجموعة التعاريف السابقة يمكن تعريف العنصرية بأنها: الانحياز والتمييز القائم على التباينات الاجتماعية أو البيولوجية بين الناس، والتي ينبني عليها سلوك يقسم الناس إلى "أعلى" و "دون"، ويؤدي إلى أشكال مختلفة من التعاملات من كل نوع.

ثالثًا: مصطلح العنصرية في النصوص النبوية.

خلال استعراض النصوص النبوية لم يجد الباحثان مصطلح "عنصرية" واضحا صريحًا، إنَّما كانت مصطلحات رديفة أو قريبة في المعنى، وذلك على النحو الآتي:

1. مصطلحات تدل القرابة سواء قَرُبَت أَم بَعُدَت مثل:

- عصبية، مأخوذة من العصبة، وهم الأقارب من جهة الأب، لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم: أي يحيطون به ويشتد بهم، والعصبية أن يغضب الرجل لعصبته ويحامي عنهم[7].

---

[4] ينظر: نجاة جملي، جريمة التمييز العنصري بين الشريعة والقانون (6).

[5]

[6] الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري المنبثقة من مكتب حقوق الإنسان، المادة رقم 1، المؤرخ بتاريخ 1965م.

[7] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (245/3).

- حَسَبْ: وهو ما يحسبه الرجل ويعده من مفاخر آبائه وأجداده[8].
- قبيلة: القبيل؛ الجيل من الناس، وهي ما كان ذا علاقة بنسب الرجل من جهة أبيه[9]، والقبيلة: بنو أب واحد[10]، وهي الجماعة المجتمعة التي يقبل بعضها على بعض[11].
- عشيرة: المعشر، كل جماعة أمرهم واحد[12]، نحو معشر المسلمين، معشر الجن، معشر الإنس[13] وعشيرة الرجل: بنو أبيه الأدنون الذي يعاشرونه[14]

2. مصطلحات تدل على اللون مثل: الأسود، أَحمر، الأبيض.
3. مصطلحات تدل على القومية مثل: العرب، العجم، فارس.
4. مصطلحات تدل على الجنس: الأنثى.

وعليه يمكن تعريف العنصرية بأنها: محددات ومعايير تخضع لأهواء بشرية تقوم على أَساس القرابة، أو اللون، أو الجنس، أو القومية؛ ينبني عليه سلوك إيجابي أو سلبي تجاه الطرف الآخر.

المبحث الثاني: أسباب العنصرية

دعا الإسلام إلى نبذ كافة المظاهر المؤدية للعنصرية، وأول من نادى بها هو إبليس عليه لعنة الله، حينما أمره الله تعالى بالسجود لآدم: ﴿قَالَ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾[15]، وأصبحت العنصرية ديدنًا عند الكثير من الجاهليين، ولم يبتعد العرب عنها قبل الإسلام، حيث كانت العنصرية مهيمنة والقبلية سائدة، والتقسيم الطبقي مستشرى بينهم، فهذا من السادة، وذاك من العبيد، إلى أن جاءت الشريعة الإسلامية وعمدت على استئصالها ومحاربتها، بكافة الأساليب والطرق، وفي هذا المبحث إضاءة تعريفية على أسباب العنصرية، وكيف

[8] الزمخشري، محمود بن عمرو، أساس البلاغة (188/1).
[9] ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة (372/1).
[10] الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة (137/9).
[11] المناوي، عبد الرؤوف بن تاج، التوقيف على مهمات التعاريف (267).
[12] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين (248/1).
[13] ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة (327/4).
[14] جمهرة اللغة (728/2)
[15] سورة ص، 76

اهتمت السنة النبوية بمحاربتها، وعليه فإن هذا المبحث يدور حول محاور ثلاث من أسباب العنصرية، وهي إما أن تكون أسباب نفسية، أو أسباب اجتماعية، أو قومية، أو عوامل خارجية، أو فكرية

المطلب الأول: أسباب نفسية

حاربت الشريعة الاسلامية العنصرية بكافة ألوانها، وعدتها آفة من آفات الجاهلية، من ضمن ذلك التمييز العنصري بين اللون، ولعل التباهي بهذا الأمر نابع من مرض نفسي، يحدق بصاحبه، حيث كان الناس في الجاهلية يحقرون من شأن السود ويزدرونهم، فجاء الإسلام محاربًا لهذه الفورق التي تبدد المجتمع الاسلامي.

ليجعل الناس كلهم سواء في ميزان الشرع، وأن هذه الأعراق والالوان لا تقدم ولا تؤخر، وأن الناس كلهم سواء، وما هذه الألوان إلا خلقة طبيعية، تختلف من عالم إلى آخر، ثم إنه لا ينبني عليه شيء، في ميزان الشرع، بل إن التباهي به يبين بأنه مرض نفسي عند صاحبه، لما يصيبه من غرور وعجب بنفسه ويتعالى فيه على من هم حوله، بجمال بشرته وبهاءها، ولما كانت صورة التباهي سائدة في المجتمع الجاهلي، نجد أنهم كانوا يمايزون بين العبيد السود والأحرار، ويعيدوا أنفسهم بأنهم أفضل منهم وأعظم، لهذا جاءت الشريعة لتقضي على هذه الفوارق وتبدد هذه الأركان الجاهلية، ولترسي قواعد التساوي فيما بين الناس، وأن الناس كلهم لآدم وآدم من تراب.

وقد مضى على هذا العهد الذي جاءت به الشريعة الإسلامية النبي صلى الله عليه وسلم، فقد حاربها ونبذها بكل ألوانها، مبينًا أن الناس متساوون، قال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»[16]

فهذه القاعدة التي قعدها النبي صلى الله عليه وسلم في إرساء قواعد المساواة فيما بين الناس تعد من قبيل محاربة العنصرية التي نادت بها الجاهلية، فقد أوضح فيها صلى الله عليه وسلم أن الناس سواسية لا فرق بين أحمرهم وأبيضهم وأسودهم، وجعل ميزان التفاضل فيما بينهم التقوى كما في الآية: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[17] فهم متساوون في أي إهاب، ومن أي جنس، ومن أي طائفة، ومن أي لون.

وعليه فقد تم ترجمة ذلك على أرض الواقع، فجمع الإسلام بين هذه الألون المختلفة، ليقضي على هذه الفوارق مما يجعل الناس كلهم سواسية كأسنان المشط، بالإيمان الذي أزال وأذاب جل هذه الفوارق التي لا تمد

---

[16] الطبراني، المعجم الأوسط، حديث رقم (4749)، ج5، ص86

[17] الحجرات: 13.

للإسلام وبرسالته بصلة. وقد عاب النبي صلى الله عليه وسلم على الصحابي الذي عير أخاه بلون بشرته، بأنه ابن السوداء؛ لذلك عاتبه صلى الله عليه وسلم على ذلك وبين أن ذلك من عادات الجاهلية الممقوتة المنتنة؛ ليصحح النبي صلى الله عليه وسلم سلوك هذا الصحابي، وليخلصه من هذه الصفة الذميمة، التي تناقض عرى هذا الدين الحنيف.

كما وأوضح النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الرسالة التي وكلت له، لا تقتصر على لون دون آخر، بل هي شاملة للناس ككل، فلم يحابي بها لونًا على آخر، فقد صح عنه أنه قال: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، ولا أقوله فخرا: بعثت إلى كل أحمر وأسود، فليس من أحمر ولا أسود يدخل في أمتي إلا كان منهم"[18].

المطلب الثاني: أسباب اجتماعية

لقد انتشرت العنصرية البغيضة في الأوساط الجاهلية، تفاخر بالعشيرة والقبائل والآباء والأحساب، وكلها تتمحور في فلك واحد، إلى أن جاءت الشريعة الاسلامية وحاربت ذلك أشد المحاربة، بل عدتها من الجاهلية، وأمرت أبناءها بعدم التحلي بها، لما فيها من تفرقة وتشرذم.

وقد تعددت الاحاديث الواردة في هذا الباب، كلها في نبذ صور العنصرية الاجتماعية، مؤكدةً على ضرورة الانقياد والتسليم لدين الله تعالى، وعدم الانقياد وراء هذه التي لا تزيد المجتمع الا تفرقا وتشتتا، حرصا منها على أن يكونوا يدًا واحدة كالجسد إذ اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

1. التعصب للعشيرة والأحساب

تعد العشيرة والاعتداد بالحسب من الأسباب المفضية إلى العنصرية، حيث كانت صوة ذلك واضحة في المجتمع الجاهلي، إلى أن جاء الاسلام وحرمها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾[19].

[18] حنبل، مسند الامام احمد، حديث رقم 2256، ج4. ص119

[19] سورة الحجرات 11

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أربع من أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[20].

فهذه صورة من صور الاعتزاز بالعشيرة التي كانت مستشرية في المجتمع الجاهلي، والتي ندد بها الاسلام وأمر بضرورة فضها، والعمل على حلها، والتخلص منها، وما ذلك إلا من أجل تدعيم البناء الإسلامي بصورة متعاضدة، متكاتفة، بعضها مع بعض بعيدًا كل البعد عن ما يفتك بالمجتمع المسلم.

ومن صور الافتخار بالعشيرة والتعصب لها، ما ورد عَنْ أَبِي عُقْبَةَ وَكَانَ مَوْلًى مِنْ أَهْلِ فَارِسَ قَالَ : شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُحُدًا فَضَرَبْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَقُلْتُ : خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ الْفَارِسِيُّ ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : «فَهَلَّا قُلْتَ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ الْأَنْصَارِيُّ»[21].

وكان من عادة العرب في الجاهلية، "في المحاربة أن يخبر الضارب المضروب باسمه ونسبه إظهارا لشجاعته فالتفت إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هلا قلت؛ أي: لم لا قلت، خذها مني وأنا الغلام الأنصاري؛ أي: إذا افتخرت عند الضرب، فانتسب إلى الأنصار الذين هاجرت إليهم ونصروني، وكان فارس في ذلك الزمان كفارا فكره الانتساب إليهم، وأمره بالانتساب إلى الأنصار ليكون منتسبا إلى أهل الإسلام "[22].

وقَوْلُهُ: «أَلَا قُلْتَ خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ الْأَنْصَارِيُّ» إشارة واضحة أَنَّهُ لَا يَضُرُّ بأن يرد على الطرف الثاني بأنه من عشيرة كذا بَعْدَ صَلَاحِ النِّيَّةِ[23]. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتخر بأنه سيد ولد آدم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، كان يقول: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»[24]، ولا حرج أن يتعلم الرجل نسبه، بل يطلب منه ذلك شرعاً ليعرف أرحامه وأقرباءه ويصلهم، وقد روى الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر»[25].

---

[20] مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم (934)، ج2. ص644

[21] حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (22515) ، ج37. ص193

[22] القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج7. ص3076

[23] يُنظر: السندي، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، ج2، ص281

[24] حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (10987)، ج17، ص10

[25] حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (8868)، ج14، ص465

2. التعصب للقبائل والآباء

وهذه صورة ثانية من صور الافتخار الجاهلي، حيث كانوا يتفاخرون فيما بينهم من أنهم من قبيلة كذا، لا سيما وإذا كانت هذه القبيلة معروفة في الاوساط الجاهلية، ويضرب بها المثل، فقد كان المجتمع الجاهلي مجتمعاً قبليّاً تحكمه القوانين والأعراف التي تضمن للقبيلة بقاءها، وقد شاعت بينهم العصبية الذي تقول: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فهو في قبيلته يتعصب لأسرته على سائر الأسر، والبطن الذي هو منه على سائر البطون، ويتعصب للقبائل التي يجمعها مع قبيلته أب واحد قريب على القبائل التي يجمعها مع قبيلته أب بعيد، وإلى جانب رابطة الدَّم هذه كانت روابط أخرى كالولاء والجوار والتحالف والمصاهرة، وكلُّها داعيةٌ إلى ضروب من التَّعصب متفاوتة القوة، وتقتضي هذه العصبيَّة أموراً تدلُّ عليها أمثالهم وأشعارهم، ومنها أن يكون همُّ القبيلة والدفاع عنها مقدَّماً على ما سواه من الهموم الخاصَّة، ولاسيَّما إذا كان الرَّجل سيِّداً في قبيلته، فجاء الاسلام وهذب هذه العنصرية التي احتلت جزءًا كبير من حياتهم ووضع لها حدها، وأقر مفهومها (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)، لكن بخلاف الصورة التي عرفها الناس في الجاهلية، "قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»[26].

فحارب الاسلام هذه الظاهر أشد المحاربة لما فيها من تفشي الحقد والغل والتباغض فيما بين الناس، وليس هذا فحسب بل القطيعة التي تطغى بسبب التعصب للقبيلة، أو الجنس، أو النسب أو اللغة، ولما فيها من إيقاع الوهن والتفكك في جسد الأمة الإسلامية .

وقد حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يوم فتح مكة: «يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من التراب قال الله :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾»[27] وقد ندد صلى الله عليه وسلم بهذه الفعلة وتوعد أصحابها بالصغار حين قال : «لينتهين أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه، إن الله أذهب

[26] البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم (2444) ج3, ص128

[27] الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم (3270)، ج5. ص242

عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمنٌ تقيٌّ، أو فاجرٌ شقيٌّ، الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من التراب»[28].

المطلب الثاني: أسباب قومية

جاء الاسلام محاربًا للقومية التي استفحلت في الأوساط الجاهلية، والتي نبذتها السنة النبوية في الكثير من أحاديثها، فجاءت أحاديثها تحارب هذه الصفة الذميمة، فكان النبي صى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: «لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[29]، وها هي تتجد القومية بلباس آخر وبصورة مشابهة لما كان عليه العرب قبل الإسلام، التي لا يمكن بقاء الرابطة الإسلامية مع نشوء الشعور بالقومية العنصرية، ومن المغالطة الزعم بأن إحداهما تساير الأخرى ولا تضرها.

فأصبح الناس يتغنون بالعنصرية والوطنية في كل قطر من أقطارهم، متأثرين بمن هم حولهم، حتى صار العربيّ يتغنى بعروبته، وكانت هذه الصفة سائدة بشكل كبير في الجاهلية، لهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم منها.

وجعل الإسلام الناس سواءً يستوون في كل شيء دون أدنى تمايز، (ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي)[30]، فلم يفرق بين عربي على أعجمي، ولا فارسي على رومي، وإنما جعل ميزان التفاضل بينهم التقوى.

المطلب الثالث: التدخلات الخارجية

تعد التدخلات الخارجية من أكثر العوامل تأثيرًا في بث روح العنصرية، ونجد ذلك بشكل صريح في قصة اليهودي الذي أراد أن يبث سمومه بين المسلمين وذلك لما رأه منهم الحب والألفة فيما بينهم، فلم يحظى بإعجابه، فما كان منه إلا أن أخذ يذكرهم بما كان بينهم في الجاهلية، "كان بين الأوس والخزرج شيء في الجاهلية، فتذاكروا ما كان بينهم، فثار بعضهم إلى بعض بالسيوف، فأتي رسول الله عليه السلام فذكر ذلك له فذهب إليهم فنزلت هذه الآية: (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله)[31]، وقال تعالى: (واعتصموا بحبل

---

[28] الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم (3955)، ج6. ص228.

[29] الطيالسي، مسند أبي داود الطايالسي، حديث رقم (699) ج2. ص25

[30] حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (23489)، 38. ص474

[31] سورة آل عمران 101

الله جميعا ولا تفرقوا)[32]، فلم يكن بما كان منهم من القتال مما أنزل الله تعالى عنده هذه الآية التي ذكر فيها ما كان منهم بالكفر على الكفر بالله تعالى، ولكن كان على تغطيتهم ما كانوا عليه قبل ذلك من الألفة والأخوة، حتى إذا كان منهم ما كان منهم من ذلك فسمي كفرا لا يراد به الكفر بالله عز وجل، ولكن الكفر الذي ذكرناه سواه"[33].

فأفاد هذا الحديث حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن يدفع كل العوامل والمؤثرات الخارجية التي من شأنها أن يفرق بين المسلمين، فما كان منه إلا أن ذكرهم بضرورة الاعتصام والتشبث في دين الله تعالى، ومنع كل المحاولات المعادية، التي من شأنها تحط وتعمل على فشو الحقد بينهم.

المطلب الرابع: أسباب فكرية

ولعل من أبرز العنصرية أيضا التي تضعف القوى الأساسية في البناء المجتمعي فشو الأفكار الجاهلية التي يتخذها أفراد المجتمع بانها جزء من عقيدتهم، وغير قابلة للطرح ولا للتنازل، وهذا ظاهر من خلال الأفكار المهيمنة والتي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي، وتمييزهم بين الأحمر والأسود والعربي والعجمي، هذه كلها من قبيل الأفكالر العنصرية السقيمة، فما كانت من الشريعة الإسلامية إلا أن حاربتها وعدتها من صنوف الجهل، لإنه ما كان الاسلام ليذر مثل هذه المفتكات الجاهلية حية بين المسلمين.

وفيما يلي عرض لأبرز الأفكار التي كانت مستشرية في الأوساط الجاهلية

فقوله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ"[34]' دلت على كثرة الأفكار السقيمة التي كانت مستشرية في المجتمع الجاهلي، وقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رُدِّيَ"[35]. وقوله صلى الله عليه وسلم: " تُرَابٍ لَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ بِآبَائِهِمْ"[36]. وقوله صلى الله عليه وسلم: " أَرْبَعٌ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُوهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ ، وَالنَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ ، أَوْ : دِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ"[37]. وقوله صلى

---

[32] سورة آل عمران 103

[33] الطحاوي، شرح مشكل الآثار، حديث رقم 852، ج2. ص316

[34] الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم (3955)، ج6. ص228.

[35] حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم 4292، ج7. ص320

[36] حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم 8736، 14. ص349

[37] مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم 934. ج2. ص644

الله عليه وسلم: " مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ"[38]. فهذه الأحاديث تمثل جزءًا من الأفكار الجاهلية التي كانت مستشرية في الجاهلية والتي كانوا يحتكمون إليها، إلى أن جاءت معلنة الحرب عليها. بجملة من الأخلاق والقيم التي تفضي العنصرية وتستأصلها من حياة أبناءها.

وخلاصة ما تقدم نلحظ من خلال الأحاديث الواردة اعتناء الشريعة الاسلامية بفض أساليب العنصرية التي تفتك بالمجتمع الاسلامي، وتقوض بنيانه، لهذا حرصت الشريعة الاسمية ممثلة بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم أن تنظم حياة الناس بعيدا عن العصبية والعنصرية لتجعل من أبناء الاسلام سواءً متساوين في كل شيء. ناسفةً كل أشكال العنصرية التي تحابي بأحد على آخر.

المبحث الثالث: الحلول النبوية لمكافحة العنصرية.

اعتنت السنة النبوية بمكافحة العنصرية، وذلك من خلال معالجة المسبّبات لمنع وقوعها، وعلاج وذلك من خلال الآتي:

1. تصحيح المفاهيم والمعتقدات، تقوم فكرة العنصرية على أساس تفاضل عرق أو لون أو جنس على غيره انطلاقا من معايير غير منضبطة وليست ذات معيارية حقيقة، وهو نابع من ميل الإنسان لمن يحب من قيم الجاهلية لا ضابط ولها ولا معيارية حقيقة، إنما احتكامها إلى معايير غير مكتسبة[39]؛ لذلك جاءت النصوص النبوية لتؤسس لقاعدة راسخة ثابتة وهي أنَّ أصل البشر مرده إلى أب واحد، وخلقهم من مادة واحدة، من ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي والناس بنو آدم وآدم من تراب»[40]

"إن جميع الناس هم من نفس واحدة هي الإنسانية التي كانوا بها ناسا، وهي التي يتفق الذين يدعون إلى خير الناس، وبرهم ودفع الأذى عنهم على كونها هي الحقيقة الجامعة لهم، فتراهم على اختلافهم في أصل الإنسان يقولون عن جميع الأجناس والأصناف: إنهم إخوتنا في الإنسانية، فيعدون الإنسانية مناط الوحدة، وداعية الألفة والتعاطف بين البشر"[41]

---

[38] مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم 1805، ج3. ص1478

[39] ابن رسلان، أحمد بن حسين، شرح سنن أَبي داود (383/19).

[40] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل (438/7) حديث رقم (5116).

[41] رشيد رضا، تفسير المنار (268/4)

2. التحذير من مصير وعاقبة أتباع العنصرية في الدنيا والآخرة، إنَّ الاعتزاز بصنف بشري على الآخر والتعالي عليه في هدر لكثير من الطاقات البشرية والتي من شأنها الرقي بالأمم وتطوير الحضارات، كما وفيها تشتيت للجهود وتمزيق لوحدة صف الأمة والذي هو صمام الأمان للمجتمع من التناحر والاقتتال، لذلك شبَّه النبي صلى الله عليه وسلم متَّبع لعنصرية بذنب البعير الذي لن يفيد قومه الذين ناصرهم[42] بشيء لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: «من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذى ردى فهو ينزع بذنبه»[43].

3. تفعيل دور الإعلام في محاربة آفة العنصرية؛ لما له من أهمية كبيرة في بث الأفكار بين الناس وتصحيح مفاهيمهم، والقدرة على كشف الزيف عن الباطل ومؤيديه، وقد رسَّخ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من خلال ما نادى به في حجة الوداع والتي كانت بمثابة الدستور الذي أعلن عنه في ذلك الوقت، فقال صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ لَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»[44]

4. تشريع العقوبات والقوانين الرادعة لمثيري آفة العصبية، وذلك مما أشار إليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: «ليس منا من دعا إلى عصبية»[45]، قال شراح الحديث: معنى قوله ليس منا: أَي ليس على طريقتنا أو سنتنا[46]، وقد يكون في كلامه صلى الله عليه وسلم إشارة إلى تشريع قوانين تجرم وتحد من مثيري آفة العنصرية مثل الازدراء الاجتماعي بأن تتم مقاطعتهم من جميع أَفراد المجتمع، وقد تكون بالنفي من البلاد وإخراجهم منها لمدة يحددها أَهل الاختصاص، ,وإذا كان مثير العنصرية ممن خطره كبير فيمكن أن تقوم الحكومة بتجريده من الجنسية وبالتالي يكون عبرة لمن تسول له نفسه أن يثير آفة العصبية بين أفراد المجتمع، وقد يكون بفرض غرامات مالية كما في حديث المعرور بن سويد ، قال : مررنا بأبي ذر بالربذة وعليه برد وعلى غلامه مثله ، فقلنا : يا أبا ذر لو جمعت بينهما كانت حلة ، فقال : إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام ، وكانت أمه أعجمية ، فعيرته بأمه ، فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : «يا أبا ذر

---

[42] ابن رسلان، المصدر السابق.

[43] أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أَبي داود (493/4) حديث رقم (5119).

[44] أحمد بن حنبل، المرجع السابق (474/38) حديث رقم (23489).

[45] أَبو داود، المرجع السابق (494/4) حديث رقم (5123).

[46] القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (671/3)، القاري، علي بن سلطان، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (3077/7).

، إنك امرؤ فيك جاهلية» ، قلت : يا رسول الله ، من سب الرجال سبوا أباه وأمه ، قال : «يا أبا ذر ، إنك امرؤ فيك جاهلية ، هم إخوانكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[47] .

الخاتمة

تبين للباحثين من خلال هذه الورقة، الآتي:

1. حرص الشريعة الإسلامية على مكافحة العنصرية بكافة أشكالها وألوانها.
2. تعد العنصرية التي تتمثل في أيامنا هذه صورة من صور العنصرية الجاهلية المحرمة، والمقصود بالجاهلية هي كل نظام بشري خلا من توجيه إلهي.
3. حرص الإسلام على جمع الناس على قاعدة واضحة وثابتة يجمع عليها جميع البشر، وهي أصل خلق الإنسان، وأصل وجوده.
4. للعنصرية أسباب كثيرة منها ما بكون فكري متأصل ومنها ما يكون نفسي، ومنها ما يكون بسبب التدخلات الخارجية، ومنها ما يكون اجتماعي
5. لقد سنت السنة النبوية جملة من الحلول للحد من العنصرية، منها ما يكون حول تفعيل المحافل العلمية كالحج والمؤتمرات، ومنها ما يكون من خلال تصحيح المفاهيم، ومنها ما يكون سن العقوبات من أجل انتزاعها.

المصادر والمراجع

1. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. د.ت. *كتاب العين*.تحقيق: د مهدي المخزومي. القاهرة: دار ومكتبة الهلال.
2. أبو منصور، محمد بن أحمد. تهذيب اللغة، تهذيب اللغة تحقيق: محمد عوض مرعب. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
3. عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة. ط1. بيروت: عالم الكتب.

[47] مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (92/5) حديث رقم (4326).

4. نجاة جملي، جريمة التمييز العنصري بين الشريعة والقانون (6).
5. الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري المنبثقة من مكتب حقوق الإنسان، المادة رقم 1، المؤرخ بتاريخ 1965م.
6. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، بيروت: المكتبة العلمية.
7. الزمخشري، محمود بن عمرو، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
8. ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين.
9. المناوي، عبد الرؤوف بن تاج، التوقيف على مهمات التعاريف،ط1. بيروت: عالم الكتب.
10. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (د. ط)، بيروت: دار الفكر
11. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وآخرون، القاهرة: دار الحرمين
12. حنبل، أبو عبد الله أحمد، مسند الامام احمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
13. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي
14. القاري، علي بن سلطان محمد. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط1. بيروت: دار الفكر
15. السندي، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن ، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، تحقيق: ع لي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، دمشق: دار الخير.
16. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، (ت: 256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ρ وسننه وأيامه، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط1)، بيروت: دار طوق النجاة

17. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

18. الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود، مسند أبي داود الطايالسي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، مصر: دار هجر

19. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة.